مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد :06/ العـدد:02 / ديسمبر (2022)، ص.67/56

أصول السيميائيات بين الفلسفة الغربية والتراث العربي

The origins of semiotics between Western philosophy and Arab heritage

وزير توفيق*
ouazir.toufik@cuniv-tissemsilt.dz
مخبر الدراسات النقدية والأدبية تيسمسيلت
جامعة تيسمسيلت
(الجزائر)

أ.د. بن حنيفية فاطمة
Benhanifia29@gmail.com
جامعة تيسمسيلت
(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2022/01/01 تاريخ القبول: 2022/04/12 تاريخ النشر: 2022/12/02

ملخص:

يعد المنهج السيميائي واحدا من أهمّ المناهج النقدية التي ظهرت في العصر الحديث، وله مكانه مميزة في النشاط المعرفي، من خلال إيلائه البالغ في البحثفي طرائق بناء المعنى وتشكله في مختلف مظاهر العلامات بشقيها اللغوية، وغير اللغوية. وما انتشاره في الدراسات المعاصرة وانفتاحه على كل الثقافات إلا دليل على نجاعته وكفاءته؛ كما أن أصوله مستمدة من مجموعة كبيرة من الحقول المعرفية كالمنطق والفلسفة واللسانيات والتحليل النفسي والأنتروبولوجيا. لهذا سوف نحاول أن نرصد ونتقصى المنابع الأولى، والجذور التاريخية والفلسفية التي مثلت الأساس في بلورة المنهج السيميائي كما هو معروف اليوم، وهذا بالوقوف على دلالات مصطلح السيمياء واستعمالاته،في الفكر القديم، ممثلا في الحضارة اليونانية خاصة، ومرورا بالإرث الروماني، وانتهاءً بالتراث العربي.

كلمات مفتاحية:السيميائيات، العلامة، الفلسفة، المنطق، التراث العربي

Abstract:

The semiotic is one of the most important critical approaches in the modern era, and plays a distinct role in cognition due to its constant craving for In the fires of building meaning and its formation in the various manifestations of signs with both linguistically and non-linguistically sides. Its prevalence in contemporary studies and its openness to all cultures is a solid evidence of its effectiveness and efficiency for its origins derive from a wide range of disciplines such as logic, philosophy, linguistics, psychoanalysis and anthropology. For that reason, the author aims to examine the origin, historical and philosophical roots that contributed in shaping the current semiotic approach. The author shall examine the significance and usage of the term semiotics in ancient thought, especially of Greek civilization, the Roman legacy, and ending with the Arab heritage.

Keywords: *semiotic; the sign; philosophy; logic; Arab heritage.*

*المؤلف المرسل

مقدمة:

تضرب السّيميائيات بجذورها في أغوار التّاريخ الماضي، من خلال أفكار متناثرة في الحضارة اليونانية متمثلة في الفكر المنطقي والبلاغي، وما السيميائيات الحديثة إلا امتداد لتلك الاكتشافات السّيميائية القديمة، التي اعتبرت منطلقًا للسّيميائيين المعاصرين الذين عملوا على تطويرها وتطويعها موازاة مع الثورة العلمية التي شهدها العالم منذ منتصف القرن التاسع عشر، لهذا اعتبر المنهج السّيميائي من بين أهم المناهج النّقدية التي أخذ الاهتمام بها من طرف النقاد العرب والغرب على حدٍ سواء" ومما لا شك فيه أن الأفكار الفلسفية تمثل الأصول المعرفية التي تقوم عليها كل المناهج النقدية، ومن ثم فإذا أردنا أن نبحث في أصول منهج نقدي ما، فإننا سنجد أصوله في فلسفة ما، ولذلك نجد المناهج التي تعتمد على الرؤى الفلسفية ذات التأثير الكبير على فكر الإنسان تمتاز بشيء من الثبات والديمومة"[1]،فأغلبهاقديم في الفكر الفلسفي، حديث في الفكر النقدي، لذا سنعمد إلى رصد موجز لأهم استعمالات مصطلح السيميائيات في الفكر والفلسفة الغربية القديمة وكذا في التراث العربي.

1.مصطلح السّيميائيات في الفكر الغربي القديم:

لقد كان لمصطلح السيميائيات)(sémiotiqueحظ في الوجود مع فلاسفة اليونان في بحوثهم ومناقشاتهم مما يعكس أصالته وارتباطه الوثيق بالمعرفة الإنسانية والفلسفية خاصة حتى قال بعضهم: "إنك لا تستطيع أن تقول متى تبدأ الفلسفة وينتهي السيمانتيك وما إذا كان يجب اعتبار الفلسفة داخل السيمانتيك أو السيمانتيك داخل الفلسفة، ومنذ نحو ربع قرن كان اللغويون يتركون السيمانتيك للفلاسفة والأنتروبولوجيين ثم أخذ السيمانتيك يحتل مكانة تدريجية في علم اللغة"[2]

وهو ما يوحي بوجود علاقة تداخل أو احتواء، فقد " بات الارتباط متينا إلى حد التطابق بين السيميائيات والمنطق ونظرية المعرفة، وإن كان التأويل السيميائي للخطاب الفلسفي ذا طبيعة أكثر خصوصية وأكثر تعقيدا؛ ذلك لأن التفكير بالعلامات وحول العلامة في آن واحد ظل يشغل بال الفلسفة منذ العصور القديمة ومرورا بالعصور الوسطى والحديثة إلى أيامنا هذه"[3]. وهو ما يثير أيضا تساؤلا محوريا من بين الكثير من التساؤلات ألا وهو هل السيميائيات علم من بين العلوم القديمة؟، أم هي جزء من هذه العلوم؟

إن الطائف في صفحات التاريخ اليوناني يلفي وبوضوح أن مصطلح السيميائيات كان يقصد به العلامة أو العلامات، فالقول "بمصطلح (Sémiotique)، يستدعي- حتما – إدراك المفهوم الإغريقي للحد Sémeion الذي يحيل على سمة مميزة (Marque distinctive) أثر(Trace)، قرينة (Indice)، علامة منذرة (Signeprécurseur)، دليل (Preuve)، علامة منقوشة أو مكتوبة (Signegravéouécrit)، بصمة (Empreinte)، تمثيل تشكيلي(Figuration)..."[4]، فهذه التعاريف وإن بدت مختلفة في مضامينها إلا أنها تصب في خانة واحدة مرتبطة دائما بالعلامة؛ ولهذا كان لزاما على الباحث في الدرس السيميائي الحديث أن يعود لتقصي جذور ومفهوم العلامة كونها تمثل المحور، والبؤرة الأساس التي تدور حولها الدراسات السيميائية كما أنه "لا يمكن تقديم تصور لماهية العلامة دون الوقوف على علاقتها بالمعنى. وهذه العلاقة شكلت هاجسا معرفيا للتفكير الفلسفي القديم منذ أن بدأ يتأمل العلاقة القائمة بين اللغة والفكر وبين الصور والأشياء من جهة والكلمات والأشياء من جهة أخرى؛..."[5]التي تمخضت عنها تساؤلات عديدة ساهمت في بلورة ما عرف بنظرية المعرفة التي بحثت في حقائق الموجودات لاسيما عند أفلاطون وأرسطو.

1.1. العلامة عند أفلاطون وأرسطو:

شكلت نظرية المثل العليا لأفلاطون(Platon) الخاصة بالعالم الحسي والعالم المادي وملاحظاته حول العلامة اللغوية وإثارته لقضية اللفظ والمعنى في اللغة باتجاهه" نحو العلاقة الطبيعية الذاتية، مدعيا أن تلك الصلة الطبيعية كانت واضحة سهلة التفسير في بدء نشأتها، ثم تطورت الألفاظ ولم يعد من اليسير أن نتبين بوضوح تلك الصلة، أو نجد لها تعليلا وتفسيرا"[6] إضافة إلى سبقه إلى تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية؛ منهلا رئيسيا ومنبع تقليد فكري ومعلما سار على هديه الكثير من الفلاسفة بعده وفي مقدمتهم تلميذه أرسطو(Aristote) الذي وقف عند مفهوم العلامة أكثر من أستاذه أفلاطون ويعزو ذلك الدكتور "مُحَمَّد فليح الجبوري" إلى أمرين:" الأول يتمثل في وصول معظم كتبه مقارنة بما

وصل لأفلاطون، والآخر لما يمتلكه من ذكاء وفطنة فضلا عن تلمذته لأفلاطون نفسه مما جعله يتمكن من هضم أفكار سقراط وأفلاطون معا"[7].

ناهيك عن تعارضهم في مسائل لغوية وفلسفية عديدة فقد "تجاوز أرسطو فلسفة أفلاطون بمحاولة تقديم تعريفات للأفكار الرياضية والأخلاقية وما إلى ذلك؛ ومن هنا كان أرسطو يطابق بين الفكرة والمعنى أو بين المعنى والجوهر. وعليه فقد أحدث تحولا كبيرا في مسار التفكير الفلسفي عندما استبدل فكرة المثل العليا لأفلاطون بفكرة المفهوم. لا يمكن حصر المفهوم في طبيعة تأمل الشيء تأملا فكريا، بل إنه سيرورة ناتجة عن تجريد التجربة الحسية..."[8]ومن الواضح أن أرسطو لم يبتعد كثيرا عن معاصريه في تعريفاته المتعلقة بالعلامة – التي هي شأننا في هذا المقام – "فإن كان وظف مصطلح علامة (semeion)، فقد قصد بها الإشارة والحجة والعَرَض أو العلامة الطبيعية مثل الندب الذي يساعد على تعرف شخص. واستعملت مشتقات هذه الكلمة بوفرة في الفصلين العشرين والواحد والعشرين من (فن الشعر)، وذلك في معرض الحديث عن أجزاء الخطاب"[9]. وهذا ما وجدناه أيضا لدى التعريفات التي ساقها أمبرتو إيكو(Umberto Éco) في معرض بسطه لمفهوم العلامة التي استقاها من قواميس مختلفة، فذكر مثلا" العلامة من اللاتينية (signum)، سمة، تمثال، إشارة دليل... وبصفة عامة شيء مدرك يمكن أن نستخلص منها توقعات واستنتاجات وإشارات خاصة بشيء آخر غائب ومرتبط به"[10].وفي نهاية سوقه لهذه التعريفات يهتدي إلى نتيجة مفادها" وجود سمات مشتركة بين كل أنواع هذه العلامات... فلقد تبلورت منذ القدم، استنادا إلى لعبة الخصائص المشتركة والمختلفة، مجموعة من التعريفات الخاصة بالعلامات. إن هذه التعريفات والتصنيفات، حتى وإن كان اللسانيون أو الفلاسفة هم الذين اقترحوها، فإنها تشترك فيما بينها من خلال خصائص بارزة"[11].

أما الشيء الذي ميز حضور أفكار أرسطو(Aristote) في موضوع العلامة عن باقي معاصريه هو إضفاؤه الجانب المنطقي في تحليل العلامة فقد فرق مثلا "بين الاسم(onoma) بوصفه علامة بسيطة تدل بالمواضعة على شيء معين والفعل (rema) الذي تكتسي به العلامة طابع الإحالة الزمنية، فقدم حدا صوريا للكلمة من منطلق أنها وحدة لسانية، وعنصرا من عناصر الجملة غير أن دلالة الكلمة لدى أرسطو مشروطة بنسقها النحوي. فالكلمة مصطلح هاجر من المنطق إلى النحو..."[12]وبالتالي فالأسماء لاتدل على معانيها إلا بالتواضع والاصطلاح من وجهة النظر المشهورة لدى أرسطو، غير أن جدلية الطبع والتواطؤ التي استوفت حقها من الدراسة لدى فلاسفة اليونان و أخذت بحقها حتى في الدراسات المتقدمة قد تنأى لدى البعض عن موضوع العلامة، إلا أنه نجد لها مسوغ بذكرها " لأن الدلائل إما طبيعية إما تواطؤية. وذاك ما قاله أرسطو من قبلُ، إذ انتصر في هذا الجدال لفرض التواطؤ. وكثيرا ما تردد ذلك على لسانه؛ وقوله ذاك على الخصوص هو الذي يمكن من التمييز بين اللغة وصيحات الحيوان، لأنها أيضا أصوات، ولأنها أيضا قابلة للتأويل."[13].وهو ما يجعل من البون واضحا حتى في الأصوات بين الناس فهي ليست على درجة واحدة لجميع الأمم بحكم أن أرسطو" يفرق بين الصوت والمعنى، وذكر أن المعنى متطابق مع التصور الموجود في العقل المفكر. وميز أرسطو بين أمور ثلاثة:

أ-الأشياء في العالم الخارجي.

ب- التصورات = المعاني.

ج- الأصوات = الرموز أو الكلمات. وكان تمييزه بين الكلام الخارجي، والكلام الموجود في العقل الأساس لمعظم نظريات المعنى في العالم الغربي خلال العصور الوسطى"[4] وبالتالي فالمنطق الأرسطي(Logique aristotélicienne) يفصل ويفرق بين الأفكار التي تدور في أذهاننا والأشياء الحسية والكلام والكتابة، ويحاول أن يبين طبيعة العلائق القائمة بينها إذ يقول أرسطو في هذا الصدد" فالأصوات التي يُنطق بها رموز دالة على أحوال نفسية، والألفاظ المكتوبة رموز دالة على الألفاظ التي ينطق بها الصوت. وكما أن الكتابة ليست واحدة عند جميع الناس فكذلك الألفاظ المنطوق بها ليست واحدة..."[5]وهذا التفصيل ينبيء عن تفكير سيميائي دون شك .

وانطلاقا من القول السابق نكتشف أن أرسطو رأى أن الكلمات والحروف هي علامات، كما قرر ذلك أيضا امبرتو ايكو(Umberto Éco) في كتابه "العلامة والتحليل"، رغم أن هذا الموقف لم نجده يلقى الاتفاق والاجماع بين المهتمين في هذا الشأن لأن أرسطو أولى اهتماما أكثر بعلاماتية العبارة مقارنة باللفظة المفردة " فالعلامة الحاملة للفكر لا

وجود لها- في نظر أرسطو- في غياب وجود صور حسية. ومن هنا تتأتى وحدة العلاقة بين اللغة والفكر، كما أن العلامة بوصفها وحدة بين الدال والمدلول تصبح من زاوية المقاربة السيميائية للنسقية الأرسطية خصيصة لغوية تترتب عليها أحكاما ينظر إليها على أنها جمل شرطية تأخذ منحى افتراضيا. وعليه تغدو نظرية الأشكال اللسانية خطابا يتضمن صفتي الإثبات والنفي"[16].

وعليه نستنتج مما سبق أن التصورات التي تناولها أرسطو(Aristote) في ميدان الفكر واللغة،التي أصبحت تعرف فيما بعد بالمنطق الأرسطي شكلت الارهاصات الأولى لميلاد السيميائيات كما هي عليه اليوم وهو ما يجعل اللجوء إلى دراسة المنطق الأرسطي بشكل خاص أمر مهم في الكشف عن خفايا اللغة " وهو أمر طبيعي أن يلجأ إلى ذلك أهل اللغة إلا أن اللغوي أو اللساني قد يحتاج في ذلك – بل وفي البحث الخاص باللغة- أن يعرف إلى أين وصل، في تطوره، المنطق الذي يعتمد عليه العلماء وخاصة إلى ما صار إليه اليوم لأن اقتصار الباحث – أيا كان- في معرفته للمنطق العلمي على منطق أرسطو وحده قد يمنعه من فهم كل منطق لا يمت بسبب إلى أرسطو"[17]. خاصة إذا ما طالعنا أقوال كبار السيميائيين في العصر الحديث نراهم لا يحدون أي حرج في ربط السيميائيات ربطا وثيقا بالمنطق "فبيرس"(Charles Sanders Peirce) مثلا يقول:" ليس المنطق بمفهومه العام- كما أعتقد أنني أوضحت- إلا اسما آخر للسيميائياتوالسيميائيات نظرية شبه ضرورية أو نظرية شكلية للعلامات."[18] أي هي العلم الذي يمنطق العلامات ويكشف عن وظائفها.

أما تودوروف (TzvetanTodorov) في كتابه "نظريات في الرمز" وفي خضم حديثه عن المنطق رأى أن المنطق والسيميائيات متداخلان وحجته في ذلك أن المؤلفين القدماء لم يفرقوا بينهما، وبخصوص رائد السيميائيات السردية "جوليان غريماس"(Algirdas Julien Greimas) صرح أنه دائما ما كان يخشى من المناطقة وينوه إلى دور المنطق في بلورة نظريته فيقول: " إذا كانت هناك طريقة لأن نكون على يقين من الأشياء، فإنها بالذات طريقة المناطقة. لقد أسندت مكانة خاصة للمنطق، كما لو كان وحده القادر على إعطاء بنية نهائية للنظرية"[19] وهو ما تجسد بالفعل فيما سماه غريماس بالمربع السيميائي أو المنطقي (Le carré sémiotique) الذي استلهمه من الفيلسوف اليوناني أرسطو وبالتالي" إذا جاز لنا القول نظرنا إلى منطق أرسطو على أنه أحد الأسس الأولى في الإشارة إلى بوادر ما يمكن أن نطلق عليه الآن بفلسفة اللغة دون أن نغفل المصادر السابقة... أمكننا فهم العلاقة الوطيدة بين السيميائيات والمنطق. إننا سنصف آثار أرسطو بالنسقية المنطقية لكونها استطاعت أن تضفي نسقا فلسفيا ومنطقيا كاملا على مجمل المسائل التي كانت مطروحة ومطروقة قبله"[20].

2.1. الرّواقيون والعلامة:

يعدّ الرواقيون من أوائل منظري الفكر السيميائي القديم بعدما تعالقت أفكارهم وتغذت جيدا بالفلسفة اليونانية والمنطق الأرسطي، حتى اعتبر البعض أن الرواقيين ليسوا إلا حلقة وصل من الفكر الأرسطي، وهذا نظرا لعنايتهم الفائقة بالمسائل اللغوية والفلسفية " كعلم النحو والبلاغة، والدلالة، والأسلوبية، والصوتيات، وأولو أهمية كبيرة بثنائية الشكل والمعنى في كل دراسة لغوية وميزوا بين أربعة أقسام للكلام: الاسم، والفعل، والحرف، والرابط. وقسموا الاسم إلى قسمين: اسم جنس واسم العلم، وأدرجوا الصفة في قالب الاسماء، وطوروا ظاهرة التصريف."[21] كما أنهم أولو اهتماما باللفظ أكثر من اهتمامهم بجوهر الشيء، لأن الجوهر لديهم لا يعرف إلا بالعقل " فأطلقوا كلمة (قولا) على العلامة اللغوية وعرفوا القول على أنه تلك الكلمة المنطوقة التي ليست فحسب إصدار الصوت بل بالإمكان إدراك معناها والتعرف عليها لأنها مرتبطة بكلمة العقل أو القلب."[22] وبالتالي قد أخرجوا الأصوات التي ليس لها إدراك عقلي عن مفهوم القول.

كما اشتهر الرواقيون بفلسفتهم المادية، فقسموا الأشياء إلى مادية وغير مادية، " فميزوا داخل كل سيرورة سيميائية بين: seimainon أو الدال، أو التعبير بصفته كيانا ماديا، Semainomenon ما يتم التعبير عنه، أو المدلول، أو المضمون، وهو ليس من طبيعة مادية.

Tynchanon الموضوع الذي تحيل عليه العلامة، وهو من طبيعة مادية أو حدث أو فعل"[23] وانطلاقا من هذا التمييز الرواقي الذي ساقه امبرتو ايكو(Umberto Éco)مبدياً في نفس الوقت اعتراضه عليه حينما صنفوا الأقوال

في صنف الأشياء الغير مادية، يتضح أن الرواقيين جعلوا العلامات في الأقوال وليس في الأشياء المادية؛ وعليه " فالعلامة عند الرواقيين هي شيء غير مادي بل يخضع لما يمكن أن نطلق عليه باطنية الإدراك العقلي، بكون الأقوال هي أشياء غير مادية، وتحدث ترجمتها داخل مختبر العقل البشري، ومن ثم يخرج الإدراك العقلي بنتائج هذا التعريف ثم يعود العقل مرة أخرى فيتعامل مع هذه النتائج ليصل إلى نتائج أخرى أكثر تخصيصية ودقة"[24] فالعلاقة بين الكلمات والأشياء هي من يحدد مفهوم العلامة بناءً على ما يعينه العالم الخارجي، فالحقيقة عندهم لا توافق إلا ذاتها " فجمعت الفلسفة الرواقية بين المنطق والأخلاق والعلم الطبيعي، وتفردت في ضم المنطق إلى مباحث اللغة والدلالة، ولهذا كله كانت لها قصبات السبق في أن تكون لها قدم راسخة في تاريخ التفكير السيميائي القديم، حينما جمعوا بين نظرية العلامة ونظرية البرهان، كما أن نزوعهم المادي دفعهم إلى تبني الرؤية الحسية في المعرفة العلمية ومعاداتهم للأفكار الفطرية، وعليه يمكننا القول بأن أصول السيميائيات إذا توخينا التتبع التاريخي تعود إلى التفكير الرواقي ومنطقهم الذي لم يكن بعيدا عن المتصورات الأولى لما يمكن أن نطلق عليه اليوم بفلسفة اللغة."[25]، كما شكل منطقهم وتصوراتهم حول موضوع العلامة تأثيرا بالغا في الفكر الفلسفي برمته، ومنهلا رئيسيا لفلاسفة القرن الوسيط وفي مقدمتهم القديس أوغسطين.

3.1. العلامة في فلسفة أوغسطين:

انطلق أوغسطين(Augustind'Hippone) في دراسته للعلامة من منطلق وأهداف دينية بالدرجة الأولى، إلا أنه توصل إلى نتائج باهرة فاقت تصوراته، كما عبر عن ذلك تودوروف(TzvetanTodorov) في معرض حديثه عن أوغسطين حيث أنزله منزلة تاريخية، وخلص على أن القديس أوغسطين اللاهوتي هو من استوفت دراساته في ميدان السيميائيات حقها في القديم، ولم يكن ليصل إلى نتائجه إلا بعد أن جمع ووفق بين الأفكار والمفاهيم التي كانت قبله، فهو في نظر تودوروف لم يخترع السيميائيات طبعا، لكن رأى أنه من الضروري الإلمام بهاته المفاهيم التي بلورة رؤى أوغسطين حول السيميائيات.

يرى أوغسطين أن الفكر أسبق من اللغة وعلته في ذلك أن اللغة تأتي متأخرة على التصور الفطري لهذا قسم العالم إلى دلائل و أشياء، وربط الأشياء بدلائلها فعرف الدليل(العلامة) على أنه "شيء يفكرنا في شيء آخر وراء الانطباع الذي يخلفه الشيء نفسه في حواسنا"[26]. أي أن العلامة عنده مزدوجة فهي حسية وعقلية، ولتبسيط مفهومها أكثر ارتكز أوغسطين "على الكلمة (verbum) التي تتوزع على علاقة علامة/مفهوم، وحتى يشتغل الشيء بوصفه علامة ينبغي للمؤول أن يدرك بأنه علامة. وعليه فالشيء بالإضافة إلى أنه ينتج المعاني يستدعي في ذاته شيئا آخر للتفكير. بيد أنه يقدم حدا واضحا للعلامة في كتابه مباديء الجدل فما أسماه بالكلمة (verbum) هو بمعنى الدال والصوت يقابل من جهة (dictio) وهي مجموعة مكونة من الكلمة أي العلامة وما يحدث في الذهن بوصفه أثرا للكلمة و(dictible) وهو ما يدركه الذهن في الكلمة (verbum) فالشيء لا يصبح علامة ما لم يُحل على شيءآخر"[27]. وبالتالي أوغسطين يحاول تبيين الدال من المدلول والشيء الذي يحيل عليه المدلول.

ومن الواضح أن أوغطسين أولى اهتماما بالعلامة اللسانية مقابل العلامة غير اللسانية، وهذا راجع لخلفيته الدينية من خلال عنايته بتفحص وتفسير الكتاب المقدس كما أشرنا إلى ذلك آنفا ولهذا "أعطى الامتياز للعلامات المحمولة في الكلمات لكونها قادرة على تمثيل العلامات البصرية والسمعية وغيرها نظرا لتوافر الكلام على القدرة المنطقية والطاقة الحجاجية، وإن تعددت الألسن لدى البشر فالقواعد واحدة في كل اللغات من حيث جوهرها وعليه يصبح الكلام عند أوغسطين إضفاء علامة بواسطة الصوت اللغوي. إذ لها ثلاثة مستويات مميزة: بوصفها صوتا، فالكلمة(1) هي ذاتها علامة لكيان آخر، والكلمة(2) هي كلمة جوهرية لتعريفها وجزء من الذاكرة، وأخيرا الكلمة(3) تقتضي علاقة نفسية شاملة"[28]. ما يعني أن الكلمة تشمل ثلاث مستويات في فكر أوغسطين الصوت والرمز والوجدان

فالكلمة إذن في فلسفة أوغسطين هي "اللفظ الذي تحتل مقاطعه- سواء أنطقنا بها أم فكرنا فيها- فضاءً زمانيا بعينه، لها معنى؛ والكلمة التي تنطبع في النفس مع كل موضوع معرفي لها معنى آخر وهذه الأخيرة لا تنتسب إلى أي لسان(ألسن الأمم)، فتكون الكلمة التي ترن في الخارج إذن دليل الكلمة التي تسطع في الداخل، وهذه هي المستحقة قبل غيرها، لاسم الكلمة وما نلفظه بأفواهنا إنما هو العبارة الصوتية عن الكلمة فتصير كلمتنا كأنها صوت مادي يحمل ليظهره للناس إظهارا حسياً"[29].

ومن هذا المنطلق يرى أحمد يوسف أن أوغسطين كان أول من استرعى اهتمامه تحليل العلامة في الخطاب الديني وبحسب له تنبيهنا على إمكانية ولوج التحليل السيميائي في المعارف الدينية على تنوعها واختلافها لأنها تشكل في الأخير الثقافة الإنسانية، وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل والبحث عن مدى حضور مصطلح السيميائيات ومفهوم العلامة وماهيتها في تراثنا العربي

2. مصطلح السيميائيات في التراث العربي:

من المعروف لدى الكثير من النقاد والباحثين في ميدان الدرس السيميائي أن هذا الأخير هو نتاج غربي حديث بامتياز متمخض في تباشيره الأولى من معارف فلسفية إغريقية كما رأينا؛ وهناك من يعزوه إلى أفكار ودروس العالم اللغوي السوسيريفرديناند دي سوسير(Ferdinand de Saussure)، إلا أن هذه الحقيقة قد تبدو في الطرف الأخر عند البعض من النقاد مجرد حالة من حالات الاستغراب لهذا فهم يرون إن علم السيميائيات له ما يربطه بالتراث العربي أيضا، فقد اهتم القدامى من عجم وعرب بهذا الجانب من العلوم اللسانية منذ أكثر من ألفي سنة.

وفي هذا المنحى نتساءل كما تساءل نصر حامد أبو زيد في دراسته التراثية بقوله:" كيف نربط هكذا بين هذا العلم الجديد والتراث العربي؟ وما قيمة هذا الربط وما جدواه؟ أهو وهم التأصيل الذي يتنازعنا، فكلما أتتنا صيحة من الغرب هرعنا إلى تراثنا نلوذ به ونحتمي كأن المعرفة لا تستقر في وعينا إلا إذا كان لها سند من تراثنا حقيقي أو وهمي"[30] هذه الأسئلة وأخرى رغم مشروعيتها إلا أنها أخذت حقها من الجدل بين النقاد العرب على الأقل، فمن المعروف أن الشعوب تنهل وتستل العلوم من مشارب ومنابع مختلفة ولم تقتصر المعرفة على شعب دون غيره والتاريخ خير دليل على ذلك،" والحقيقة أنه لا يخلو التراث الفكري لأي شعب متحضر من تصورات سيميائية؛ ولعل ذلك يتضح أكثر عندما يتعلق الأمر بالتراث العربي، لاسيما وهو تراث قائم في الأساس على تفكير لغوي بلاغي"[31].

وبالتالي تلك الأسئلة المطروحة آنفا "لا مفر من مواجهتها ونحن نعيد من حين إلى حين النظر في تراثنا ونعود إلى تأمله وتفسيره وتقويمه. وهذه العودة المستمرة ليست نزقا طائشا نابعا من عدم النضج وعدم الاستقلال، ولكنها عودة نابعة من ضرورة وجودية وضرورة معرفية في نفس الوقت. فليس التراث في الوعي المعاصر قطعة عزيزة من التاريخ فحسب، ولكنه – وهذا هو الأهم- دعامة من دعامات وجودنا، وأثر فاعل في مكونات وعينا الراهن، وأثر قد لا يبدو للوهلة الأولى بيّنا واضحا ولكنه يعمل فينا في خفاء ويؤثر في تصوراتنا شئنا ذلك أم أبينا"[32].

وبعيدا عن جدلية الأنا والأخر سوف نحاول أن نرصد ما وقف عليه العرب في ميدان السيميائيات والعلامة وإن كان هذا الرصد مخالفا حتما لموضوع ومنهج السيميائيات الحديثة(sémiotique). وقد وجدت أثناء قراءاتي في هذا المجال أنه قد كان للعرب المسلمين نصيب وافر من الدراسات المعمقة إن في مصطلح السيميائياتوإن في موضوع العلامة ودلالاتها،رغم أنهما متداخلان إذ "من أوائل الأمور التي تلفت نظر الباحث ههنا هو أن السمة وملحقاتها تجاور مفهوم العلامة في التراث اللساني العربي إلى درجة أن أصبح من العسير التمييز بينهما، إذ إنهما متلازمان عند الاستعمال، ولذلك أصبح أحدهما يفسر الآخر في كثير من السياقات، وما كان ذلك إلا لأن/ وسم / و/ علم / فعلان متعاقبان ومتضايقان في العرف اللغوي العربي، غير أن السمة في الاستعمال العربي اقترنت بمعنى الأثر"[33].

فالوسم والأثر عرف لدى العرب منذ العصر الجاهلي وهو ما يعرف بعلم القيافة أو علم الفراسة من خلال وقوفهم على تأويل العلامات واستجلاء المعاني منها فقالوا: البعرة تدل على البعير والسير يدل على المسير، كما أنه شاع بينهم معرفة حال الرجل ونسبه من تقاسيم وجهه "فكانت الفراسة عند العرب ضربا من الإدراك السيميائي ... أو بتعبير لساني هي العلامات الاصطلاحية التي تحقق مبدأ التواصل عن طريق المواضعة، وينتفع منها المتلقي بمعرفة أشياء أخرى يعينه عليها مبدأ الاستدلال والخبرة التي تحصل له بالملاحظة إما ما يأتي عن طريق البصر واما ما يأتي عن طريق السمع واما ما يأتي عن طريق الحواس الأخرى"[34]. وهذا ما يعكس براعة العرب منذ القدم في تأويل العلامات، إلا أن هذه الخاصية تتطلب التجربة والكياسه والذكاء

أما في المعاجم العربية وتحديدا لسان العرب فقد ألفينا كلمة سيمياء لم تخرج في معناها عما ذكرناه آنفا من اقترانها بالعلامة " فالسيمياء: العلامة، مشتقة من الفعل "سام" الذي هو مقلوب "وَسَمَ " ... يدل على ذلك قولهم: سِمَةٌ، فإن أصلها: وِسْمَةٌ، ويقولون سِيمَى بالقصر، وسيماء بالمد، وسيماء بزيادة الياء وبالمد، ويقولون: سَوَّمَ إذا جعل سمة، وكأنهم إنما قلبوا حروف الكلمة لقصد التوصّل إلى التخفيف لهذه الأوزان، لأن قلب عين الكلمة متأتٍ خلاف قلب فائها، ولم

يسمع من كلامهم فعل مجرد من "سَوَمَ" المقلوب، وإنما سمع منه فعل مضاعف في قولهم: سَوَّمَ فرسه، أي: جعل عليه السِّمة، وقيل: الخيل المسومة هي التي عليها السيماوالسومة، وهي العلامة"[35]. وجاء في القاموس المحيط: "الوَسْمُ أثرُ الكي. ج وُسومٌ، وَسَمَهَ يَسِمُه وَسْماً وَسِمةٌ فاتَّسَمَ والوِسَامُوالسِّمَةُ بكسرهما، ما وُسِمَ به الحيوانُ من ضُروبِ الصُّورِ والمِيسَمُ بكسر الميم المكواةُ والوَسَامَةُ أثرُ الحُسنِ"[36].

وفي مختار الصحاح ذكر في مادة سوم "السُومة بالضم العلامة تجعل على الشاة وفي الحرب أيضا تقول منه تسَوَّم وفي الحديث: {تسوموا فإن الملائكة قد تسومت} والخيل المُسَوَّمةُ المرعية والمسومة أيضا المعلمة..."[37]. يتضح مما هو موجود في المعاجم المذكورة أن كلمة سيمياء تعني العلامة، وهذا المعنى ورد في القرآن الكريم في عدة مواضع، منها قوله تعالى: {يُعرَفُ المُجرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤخَذُ بَالنَّوَاصِي وَالأقْدَامِ} الرحمن41. وقوله: { وبَيْنَهُمَا حَجَابٌ وعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعرِفُونَ كُلا بِسِيَاهُمْ } الأعراف46 وقوله أيضا: {تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُم لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إلحَافاً} البقرة 273 وقوله:{ونَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ }الأعراف 48 وقوله: { سِيمَاهُم فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ } الفتح 29.

"وقال الزجاج في تفسير قوله تعالى: {لِنُرسِلَ عَلَيهِمْ حِجَارةً من طينٍ مُسَوَّمَةً عِندَ رَبّكَ لِلمُسرِفِينَ} الذاريات 34 روى عن الحسن أنها معلمة ببياض وحمرة وقال غيره: مسومة بعلامة يعلم بها أنها ليست من حجارة الدنيا ويعلم بسيماها أنها مما عذب الله بها، وعن قوله تعالى: {... والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ...} آل عمران 14 قال أبو زيد: الخيل المسومة المرسلة وعليها ركبانها، وهو من قولك: سومت فلانا إذا خليته وسومه أي ومايريد، وقيل الخيل المسومة هي التي عليها السيماوالسومة وهي العلامة انتهى كلامه. وفي الحديث الشريف: { إن لله فرسانا من أهل السماء مسومين} أي معلمين وقيل أن الرسول ﷺ قال يوم بدر: سوموا فإن الملائكة قد سومت. أي اعملوا لكم علامة يعرف بها بعضكم بعضا"[38]فالسومةوالسيما مقترنان في دلالتها بالعلامة، وقد ترد أيضا "السيمى مقصور من الواو، وقد يجيء السِّيماءُ والسِّيمياءُ ممدودين"[39].

ويقول أبو عبيدة عن قوله عز وجل في سورة آل عمران الآية 125 {بِخمسَةِ آلافً مِنَ المَلائِكَة مُسَوِّمِينَ} "أي معلمين، وهو من المسوم الذي له سيماء بعمامة أو بصوفة أو بما كان؛ وفي قوله عز وجل في سورة الحجر الآية 75 {إِنَّ فِيَ ذَلِكَ لآياتٍ لَلمُتَوَسِّمِينَ} يقول ابن فارس: يعني الناظرين في السمة الدالة"[40]. والمقصود بالسمة الدالة، العلامة إذ هناك تقابل وتشابه في المفهوم بين الدلالة والعلامة في اللسان العربي كما ذكر ذلك نصر حامد أبو زيد في بحثه الاستكشافي عن العلامة في التراث فيقول: " يقابل مفهوم العلامة في التراث مفهوم الدلالة، ولعل في نظرة المسلمين للعالم بوصفه دلالة على وجود الخالق- وهي نظرة يؤيدها القرآن- ما يؤكد تفسيرنا لمفهوم الدلالة في الفكر الإسلامي بما يوازي العلامة في المفهوم السيميوطيقي. هذا إلى جانب أن الجذر اللغوي للعلامة (علم) يؤكد الارتباط الدلالي بين (العلامة) و (العلم) و (العالم) في كل المعاجم العربية، وهو الارتباط الذي لاحظنا وجوده بين المعرفة واللغة من جانب، وبينهما وبين وضعية الإنسان في العالم من جهة أخرى"[41].

انطلاقا من هذا القول يمكن أن نؤسس عدة علاقات للعلامة في التراث العربي فهي من جهة توافق المنظور السيميائي الحديث ومن جهة أخرى تقترن في مضمونها بالدلالة وكذا العلم والمعرفة التي عني بها الإنسان العربي خاصة منذ فجر الإسلام، فالقرآن الكريم الذي هو كلام الله عز وجل المنزه عن الخطأ دعا إلى التفكر والتدبر في دلائل وجوده في الكثير من العلامات الكونية الحسية والمعنوية " فأمر القرآن العرب أن يقرؤوا الكون باعتباره علامات، حيث يكفي أن يتأملوا الطبيعة ليكتشفوا الحقائق {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ} الغاشية 22/17 كما يكتشفون كيف تستطيع هذه العلامات أن تمثل الكون بأسره ... فنبه القرآن على أن كل علامة، وكل نظام طبيعي كوني لابد أن تكون له علاقة بوجود الله"[42].فجاء الكون كتابا مفتوحا للمتأملين والمتدبرين،ودعا المؤمنين إلى التبصر والتدبر والتفكر في آياته التيلا يحدها حد ولا يحصرها عدد، فهو سبحانه في كل شيء له آية .

وفي هذا الصدد يربط أحمد حساني بين العلامة والهداية والاهتداء أيضا بعدما ساق آيات من القرآن الكريم في هذا المنحى كقوله تعالى {وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا} الأنعام 97 وخلص إلى أن العلامة تقترن بالهداية

" فالنجوم والجبال والأنهار والسبل المختلفة، لا تعدو أن تكون في جوهرها مظاهر لعلامات دالة في هذا الكون الذي يزخر بأنظمة علامات محسوسة، من ينظر إليها، ويتفكر فيها، ويتوسمها يجدها مضامين ناطقة لا بالصوت، ولكن بالبيان الذاتي والاعتبار. وهذا كله لا يتحقق إلا بوجود العقل للاستدلال بشاهد العلامة على غائبها، فأضحى الكون بكل ظواهره علامة كبرى دالة على قدرة خالقه"[43].

فالحاصل إذن أن القرآن لفت الأنظار إلى العلامات كونها تحمل مضامين تدل على الحقيقة المطلقة، فكل نظام طبيعي كوني لابد أن تكون له علاقة بوجود الله لذلك دعاهم " إلى التأمل في الآيات العامة للكون أي في علاماته، والطرق التي تسلك بموجبها الأشياء في الطبيعة، لكي تؤثر فينا تأثيرا يؤسس للمعتقد الذي جاء به وهو الإسلام، فسعى إلى توجيه الناس إلى نقطة واحدة تعبر عن قانون العبودية"[44].

أما في ديوان العرب ونقصد به الشعر طبعا فقد وردت هذه اللفظة- السيمياء- أيضا بنفس المعنى الدال على العلامة فجاءت على لسان الشاعر أسيد بن عنقاء الفزاري يمدح عُمَيْلَةَ إذ قاسمه ماله:

"غُـلامٌ رَمَـاه الله بالحُسنِ يَافعاً لهُ سِيمْيَاءٌ لا تَشُقُّ عَلى البَصَرْ
كأنَّ الثرُيَّا عُلِّقَتْ فَوقَ نَحـرِهِ وفِي جِيدِهِ الشِّعْرَى وفِي وَجهِهِ القَمرْ

وأنشدمسعودبنبشرالمازني:

لَهُمْ أَوجُهٌ بِيضٌ حِسَانٌ وَأَذْرُعٌ طِيَّالٌ وَمَن سِيمَا المُلوكِ نِجَارُ

وقال جرير:

لَمَّا وَضَعتُ عَلَى الفَرَزدَقِ مَيْسَمِي وَعَلَى البَعِيثِ جَدَعْتُ أَنْفَ الأخْطَلِ

يريد بهذا الملفوظ أنه وسم الفرزدق بالهجاء أي أبقى عليه عاراً كالجدع والوسم.

وقال الكُميت بن زيد:

تُعَلِّـطُ أَقْـوَاماً بِمَيْسَمٍ بـارِقٍ وَتُـقَطِّمُ أوبَـاشاً رَنِـياً وَمُسْنَـدَا

والعلاط سمة في العنق"[45]. يتضح إذن أن السمة والسيميائيات كان لها حضور أيضا في القصائد الشعرية العربية ولم تخرج في معناها بعيدا عن معنى العلامة والأثر.

كما نجد أيضا أن هذا المصطلح قد تكرر عند الكثير من العلماء العرب قديما وإن كان أحيانا بمعاني مختلفة "فقد خاض اللغويون العرب في فحص الظاهرة اللغوية من حيث نشأتها وتكوينها وخصائصها البنيوية والدلالية والتداولية. كما حفلت كتب المنطق وعلوم المناظرة وأصول الفقه والتفسير والبلاغة والنقد بتصورات عميقة حول العلامات اللغوية وغير اللغوية، مما يسمح بتبيُّن نظريات سيميائية في غاية النضج"[46].

ففي مجال الدراسات العلمية الجادة مثلا قدم الجاحظ بيانا على عبقريته التي عرف بها في كتابه البيان والتبيين، وهو يرفد الدراسات العلمية ببحث سيميائي مميز في معرض حديثه عن البيان فقال: "البيان اسم جامعٌ لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يُفضي السامعُ إلى حقيقته... فبأي شيء بلغْتَ الإفهام وأوضحتَ عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع... وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة"[47]. فهذا التصنيف الدقيق لمحمولات المعاني وهو مدار البحث السيميائي الحديث ينهي إلى أذهاننا أن الجاحظ كان له السبق في طرح موضوع العلامة والدلالة. رغم أن الجاحظ "لم يتوقف طويلا أمام الفروق التي تتوقف أمامها السيميوطيقا المعاصرة بين هذه الآلات أو العلامات الدالة، ولكن مجرد هذا الربط بين وظيفة اللغة وبين المعرفة العقلية من جهة، وبين هذه الأخيرة وبين القدرة والاستطاعة من جانب آخر كان مقدمة أتاحت لمن جاءوا بعد الجاحظ من جهة أخرى أن ينظروا لهذا الترابط بمزيد من العمق، وأن يحددوا للغة وظيفة خاصة في إطار نظرية المعرفة وفي إطار تصورهم لوضعية الإنسان في الوجود"[48].

ومن العلماء أيضا الذين ناقشوا موضوع العلامة اللسانية وغير اللسانية واقترب من طرح الجاحظ نجد ابن قتيبة الذي أورد في كتابه: العلم والبيان الوسائل غير اللفظية وهي الاستدلال بالعين،والإشارة والنصبة؛ ويقصد بالنصبة " الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد ... فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان"[49].

إضافة إلى جهود الباقلاني حين قسم أنواع الأدلة إلى ثلاثة : "دلالة سمعية شرعية ودلالة لغوية وكشف عن علاقة الدال بالمدلول في كل نوع من هذه الأدلة"[50].

كما عني بعضهم بالأسماء وعلاقتها بمسمياتها فنجد البطليوسي " تعرض للجدل القائم بين علاقة الاسم والمسمى، أو الدال والمدلول، وهل الاسم هو المسمى أم أن الاسم قد يحيل إلى غير مسماه، وتبين له أن الاسم والمسمى قد يجتمعان من وجه وقد يفترقان من وجه آخر... فالبطليوسي يلتقي مع الدرس السيميائي الحديث في ذهابه إلى أن الصوت المعبر به ليس هو الموضوع المعبر عنه"[51]. أي تناول علاقة الدال بالمدلول من حيث اصطلاحهما واعتباطيتها.

إن الملفت للنظر في البحث عن علاقة العلامة والسيميائيات بالتراث العربي هو هذا السيل العرم من العلماء الذين تطرقوا إلى هذا الجانب المهم في الدرس السيميائي الحديث فمثلا "استخلص عادل فاخوري، في بحثه الهام حول التصورات السيميائية عند الفارابي وابن سينا والجرجاني وغيرهم، أنه انطلاقا من بعض المفاهيم الأولية التي وضعتها الفلسفة اليونانية، والتي كانت محصورة ضمن الدلالة اللفظية، توصل العرب تدريجيا إلى تعميم مجال أبحاث الدلالة على كل أصناف العلامات، كما خلص مبارك حنون في بحثه الهام حول التفكير السيميائي العربي القديم إلى أن العرب القدامى – مناطقة وبيانيين- أبدعوا أفكارا أصيلة تتقاطع مع عدد غير يسير من أفكار أنتجتها الثقافات السيميائية الحديثة، ومن ذلك ما قاموا به من تصنيف للعلامات، سواء أمن حيث مكوناتها والعلاقات فيما بينها، أم من حيث المجالات الاجتماعية والمعرفية التي تُوظَف فيها، أم أيضا من حيث منتوجها ومستهلكوها ومُمارسوها ومروجوها"[52].

أما معاني السيميائياتالتي ألفيناها ابتعدت في معناها عن دلالة العلامة عند الأعلام العرب من خلال مصنفاتهم، نجدها قد اقترنت في مجملها بموضوع السحر والطلاسم أو بعلم الكيمياء فنذكر مثلا "جابر بن حيان الذي كان عظيم الثقة بنفسه وبعلمه ولكن لم تساعده أدوات ذلك العصر الباكر على تحقيق ما كان يفكر فيه من خيال علمي طموح. ومن تلك الأفكار في ذلك الزمان فكرة تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة. ولما لم يستطع تحقيق بعض ذلك الطموح، تحول علم الكيمياء عنده إلى ما عرف بعلم السيمياء. وقد كان مفهوم هذا العلم في ذلك الوقت قريبا من السحر"[53].

كما عَرَّف صديق بن حسن القنوجي في كتابه (أبجد العلوم) علم "السيميا" بقوله: " اعلم أنه قد يطلق هذا الاسم على ما هو غير حقيقي من السحر وهو المشهور. وحاصله احداث مثالات خيالية في الجو لا وجود لها في الحس، وقد يطلق على إيجاد تلك المثالات بصورها في الحس فحينئذ يظهر بعض الصور في جوهر الهواء فتقول سريعة لسرعة تغير جو الهواء ..."[54]. يفهم من هذا التعريف أن القنوجي أدرج السيميا كعلم من بين العلوم حتى وإن كان علماً ضاراً وهذا لارتباطه بالسحر. ويتضح أن مصطلح السيميائيات قديما عند بعض العلماء العرب كان يقصد به السحر أيضا لهذا نجد أن التعريف بعلم السيميائيات "موجود في الكتب التي عنيت بعلوم السحر والطلسمات وأسرار الحروف والأسماء والأرواح والأرصاد، أشهرها مؤلفات مسلمة بن أحمد المجريطي وكتاب الإشارات لابن سينا ومؤلفات شهاب الدين السهرودي ومؤلفات أحمد البوني وكتاب شمس المعارف الكبرى، وكتاب سر الحكم لأحمد بن البناء"[55].

أما ابن خلدون فقد خصص فصلا في مقدمته لعلم أسرار الحروف "يجعل علم السيمياء تسمية أخرى لعلم أسرار الحروف ثم يصرح أن علم أسرار الحروف قد انتقل وضعه من علم الطلسمات إلى علم السيمياء على الرغم من أن علم السيمياء أعم وأشمل فما علم أسرار الحروف إلا فرع منه نشأ بعد الصدر الأول للإسلام عند ظهور الغلاة من المتصوفين الذين نزعوا إلى كشف حجاب الحس والتصرف في عالم العناصر"[56].

3.خاتمة:

وهكذا تأسيسا على ما سبق نجد أن مصطلح السيميائيات قد تداوله العرب منذ القدم على تباين معانيه أحيانا إلا أن الواضح منه دلّ على العلامة الذي يمكن أن يقابل مفهوم (signe) في الثقافة اللسانية المعاصرة، فيكفينا أنها دليل ساطع على ريادة علماء العربية قبل دي سوسير(Ferdinand de Saussure) بقرون طويلة؛ وهذا ما أشار إليه السيميائي المغربي السعيد بنكراد بقوله: " فإننا لانعدم وجود أفكار سيميائية متناثرة في التراث الإنساني بشقيه الغربي والعربي فقد حفلت كتب الأقدمين بإشارات تخص العلامة ومكوناتها وطرق إنتاجها وتلقيها في محاولة لفهم أسرار الدلالات التي ينتجها الإنسان في تفاعله مع محيطه"[57] ما يؤكد أن أصول السيميائيات بمفهومها المعاصر ضاربة في أعماق التاريخ الإنساني، ولعل القاسم المشترك الرئيسيبين القديم، والحديث في السيميائيات هو موضوع العلامة.

وعليه تجدر بنا الإشارة إلى أن الهدف من هذا التحقيب كله بسبر أغوار الماضي الغربي والعربي حول موضوع السيميائيات والعلامة هو تكوين رؤية شاملة عن الظاهرة المدروسة، والكشف عن أسسها وبعض جوانبها الخفية، حتى وإن كلف ذلك السقوط في بعض الاختزال والاختصار.

4. قائمةالإحالات:

1.مُحَمَّد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات الاختلاف، ط1 ، الجزائر العاصمة، 1434ه/2013م ص 22.
2.أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط5، 1998، ص 15.
3.أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2005، ص 09.
4.يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1431ه/2010م، ص 93.
5.أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة المنطق السيميائي وجبر العلامات، منشورات الاختلاف ، ط1، الجزائر، 1426ه/2005م، ص 19.
6.أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 18.
7.مُحَمَّد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص 24.
8.أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة المنطق السيميائي وجبر العلامات، ص 21.
9.التهامي العماري، حقول سيميائية، منشورات مجموعة الباحثين الشباب في اللغة والأدب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 2007، ص 48.
10. أمبرتو إيكو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، تر، سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي،ط2، المغرب، 2010، ص 36.
11. المرجع نفسه، ص 39.
12. ينظر أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة المنطق السيميائي وجبر العلامات، ص 22.
13. تزفيتان تودوروف، نظريات في الرمز، تر، مُحَمَّد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، لبنان، سبتمبر2012، ص 22
14. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص17.
15. المرجع السابق، ص 20.
16. ينظر أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، ص 18.
17. عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ص09.
18. أحمد حساني، العلامة في التراث اللساني العربي- قراءة لسانية سيميائية- دار وجوه للنشر والتوزيع، ط1، المملكة العربية السعودية، 1436ه/2015، ص 11.
19. أ.ج. غريماس، سيميائيات السرد، تر، عبد المجيد نوسي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2018، ص 69.
20. ينظر أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، ص 17.
21. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، بن عكنون، الجزائر، 2005، ص 20.
22. مُحَمَّد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص 27.
23. أمبرتو إيكو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، تر، سعيد بنكراد، ص 51-52.
24. مُحَمَّد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص 29-30.
25. ينظر أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، ص 28.
26. تزفيتان تودوروف، نظريات في الرمز، تر، مُحَمَّد الزكراوي، ص60.
27. ينظر أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة المنطق السيميائي وجبر العلامات، ص 25.
28. ينظر: المرجع نفسه ص 26-27.
29. ينظر تزفيتان تودوروف، نظريات في الرمز، تر، مُحَمَّد الزكراوي، ص 62-63.
30. سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السميوطيقا، دار الياس العصرية القاهرة، مصر، 1986، ص 73.
31. عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصور شامل، دار الأمان، ط1، الرباط، المغرب، 2010، ص 30.
32. المرجع السابق، ص73.
33. أحمد حساني، العلامة في التراث اللساني العربي- قراءة لسانية سيميائية، ص 71-72.
34. أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة المنطق السيميائي وجبر العلامات، ص 26.
35. ينظر، ابن منظور،لسان العرب،(د.ت)، دار صادر، مادة سوم بيروت، ص:312.
36. مجد الدّين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط ج4، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، مصر، 1330ه، ص 186.
37. مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2007، ص192.
38. ينظر، أمينه فزاري، أسئلة وأجوبة في السيميائية السردية، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، مصر، 2012، ص 14.
39. ينظر، مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، ص 192- 193.
40. ينظر أحمد حساني، العلامة في التراث اللساني العربي- قراءة لسانية سيميائية، ص 76 – 77.
41. سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السميوطيقا، ص 78.
42. آمنة بلعلى، سيمياء الأنساق تشكلات المعنى في الخطابات التراثية، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2015، ص 38-39.

43. أحمد حساني، العلامة في التراث اللساني العربي- قراءة لسانية سيميائية، ص 78-79.
44. آمنة بلعلى، سيمياء الأنساق تشكلات المعنى في الخطابات التراثية، ص 39.
45. ينظر أحمد حساني، العلامة في التراث اللساني العربي- قراءة لسانية سيميائية، ص 72-73-75-76.
46. عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصور شامل، ص 30.
47. أبي عثمان عمرو بن بحرالجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تح، عبد السلام مُحَمَّد هارون، ص 76.
48. سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيميوطيقا، ص 76-77.
49. أحمد حساني، العلامة في التراث اللساني العربي- قراءة لسانية سيميائية، ص 141.
50. ينظرالمرجع السابق، ص 81.
51. ينظر آمنة بلعلى، سيمياء الأنساق تشكلات المعنى في الخطابات التراثية، ص 62-68.
52. عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصور شامل، ص 30-31.
53. سعدية موسى عمر البشير، السيميائية:أصولها ومناهجها ومصطلحاتها، مقال منشور على موقع منتديات تخاطبta5atub.com، 2010/03/07.
54. صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تح، عبد الجبار زكار، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978، ص 332.
55. ينظر، أمينة فزاري، أسئلة وأجوبة في السيميائية السردية، ص 16.
56. المرجع نفسه، ص 18.
57. السعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الأمان للطباعة، ط2، الرباط ، المغرب، 2019، ص 11- 12.

قائمة المصادر والمراجع:

5. قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن منظور، لسان العرب،(د.ت)، دار صادر، مادة سوم بيروت.
2. أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تح، عبد السلام مُحَمَّد هارون.
3. أحمد حساني، العلامة في التراث اللساني العربي- قراءة لسانية سيميائية- دار وجوه للنشر والتوزيع، ط1، المملكة العربية السعودية، 1436ه/2015.
4. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط5، 1998.
5. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، بن عكنون، الجزائر، 2005.
6. أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2005.
7. أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة المنطق السيميائي وجبر العلامات، منشورات الاختلاف ، ط1، الجزائر، 1426ه/2005.
8. أمبرتو إيكو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، تر، سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي،ط2، المغرب، 2010، ص 36.
9. آمنة بلعلى، سيمياء الأنساق تشكلات المعنى في الخطابات التراثية، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2015.
10. أمينه فزاري، أسئلة وأجوبة في السيميائية السردية، دار الكتاب الحديث، ط1، القاهرة، مصر، 2012.
11. تزفيتان تودوروف، نظريات في الرمز، تر، مُحَمَّد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، لبنان، سبتمبر2012.
12. التهامي العماري، حقول سيميائية، منشورات مجموعة الباحثين الشباب في اللغة والأدب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 2007.
13. سعدية موسى عمر البشير، السيميائية:أصولها ومناهجها ومصطلحاتها، مقال منشور على موقع منتديات تخاطب ta5atub.com، 2010/03/07.
14. السعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الأمان للطباعة، ط2، الرباط ، المغرب، 2019، ص 11- 12.
15. سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيميوطيقا، دار الياس العصرية القاهرة، مصر، 1986.
16. صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تح، عبد الجبار زكار، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978.
17. عبد الرحمن الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2012.
18. عبد الواحد المرابط، السيمياء العامة وسيمياء الأدب من أجل تصور شامل، دار الأمان، ط1، الرباط، المغرب، 2010.
19. غريماس، سيميائيات السرد، تر، عبد المجيد نوسي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2018.

20. مجد الدّين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط ج4، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، مصر، 1330ه
21. ممحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2007.
22. مُحَمَّد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات الاختلاف، ط1 ، الجزائر العاصمة، 1434ه/2013.
23. يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1431ه/2010.